

هل نحتاج حقاً إلى إعادة تعريف المشكلة السكانية؟

9-1-2012

ربما يكون هذا السؤال استفزازي إلى حد ما، " هل نحتاج حقاً إلى إعادة تعريف المشكلة السكانية؟"،

لقد ظللنا لسنوات طوال نتحدث عن المشكلة السكانية بأبعادها الثلاثة وهي الزيادة السكانية المستمرة، تدني خصائص السكان خاصةً فيما يتعلق بالمستويات التعليمية والتمتع بقدرات تناسب احتياجات سوق العمل، وسوء توزيع السكان، كما ظللنا ننبه إلى تأثير المشكلة السكانية على نوعية الحياة التي يتمتع بها المواطن المصري والاحتياجات الأساسية التي تتوفر له مع هذه الزيادة السكانية الكبيرة التي نشهدها سنة بعد سنة، وعلى الرغم من كل هذا الكلام، وكل هذه الأرقام، وكل الحملات الإعلامية والإعلانية فقد كسرنا حاجز الاثنيون مليون مولود منذ عامين.

لقد وجدنا بعد ثورة 25 يناير بعض المقترحات المتعلقة بالمسألة السكانية التي يبدو أنها تسير في اتجاه مخالف وظهرت بعض الدعاوى التي تشير إلى أن الحكومات المتعاقبة كانت تتعلل بالمسألة السكانية باعتبارها عقبة للتنمية وأنها تؤثر على نوعية الحياة لتبرر إخفاقها في تحقيق الأهداف التنموية.

هناك أيضاً بعض المستجدات التي تفرض نفسها على المشهد السياسي في مصر بعد ثورة 25 يناير، فمن المؤكد أن مصر سوف تشهد تياراً إسلامياً مُمكناً سياسياً بمعنى أن التيار الإسلامي سوف يلعب دوراً سياسياً، ومن المعروف تقليدياً أن التيارات الإسلامية لها آراء متحفظة نحو المشكلة السكانية وترى أن الدولة يجب ألا تأخذ موقفاً رسمياً من قضية النمو السكاني وهي في الغالب تترك الأسرة لتقرر ما تشاء، وربما بعض التيارات الإسلامية الأكثر تشدداً ترى أن زيادة السكان شئ مهم، وهنا يجب أن ننظر للموضوع نظرة متوازنة. فمثلاً في التجربة الإيرانية نجد أن الحكم الإيراني الإسلامي عندما بدأ اتخذ موقفاً مؤيداً للزيادة السكانية وذلك أثناء الحرب بين إيران والعراق مما اعتبر مبرراً لهذه الرؤية، ثم بعد فترة وبعدم اختلاط النخب الحاكمة بالإسلامية وسلط الضوء على المؤشرات المتعلقة بالمسألة السكانية بدأ التحول من نهاية الثمانينات إلى موقفٍ مختلفٍ تماماً، بل وصدرت فتاوى من أئمة الشيعة وصلت إلى

حد إباحة التعقيم، وبالتالي من الجائر أنه عندما يتولى فصيل سياسي أو ديني مسؤولية إدارة البلاد ينظر إلى الموضوع نظرة عملية تعتمد ما يحقق مصلحة الدولة.

ربما يكون الوقت الآن هو الأنسب لنعيد النظر بطريقة فيها تفكير حر، وفي النهاية وفي ظل أي سياسات ستنتجها إدارة البلاد يجب أن تجد رداً على العديد من التساؤلات:

إذا كان لدينا أكثر من 2 مولود سنوياً،

كيف سنوفر لهم أماكن في المدارس بعد 6 سنوات؟،

بل كيف سنوفر لهم فرص عمل بعد 15 إلى 20 سنة؟،

وكيف سنوفر لهم مساكن مناسبة؟

والأهم كيف سنوفر احتياجاتهم الأساسية من الطعام والمياه في ظل ندرة المياه والأرض الصالحة للزراعة وعدم كفاية نصيب مصر من المياه للوفاء باحتياجات السكان الحاليين؟

ماجد عثمان